إهداء

أهدى هذا العمل إلى مجموعة الرجال فى حياتى

أبى الحبيب... سعيد صبحى أبو شقرة

زوجى رفيق دربى... خليل عبد الرازق

أبنائى الأعزاء... عمر ، على خليل

تصدير

شهدت المجتمعات العربية فى السنوات الأخيرة حالة من التغيرات المتسارعة صاحبها أعمال عنف ساهمت فى تفاقم الصراعات وعدم الاستقرار الاجتماعى والاقتصادى والسياسى. ومن أهم الظواهر التى تواجه الأنظمة السياسية العربية تراجع قدرة الدول فى مجال الحفاظ على الاستقرار السياسى وامتصاص الغضب الجماهيرى المرتبط بمطالب ملحة فى التحول الديموقراطى .

وهناك تفسيرات نظرية متعددة لأسباب عدم الاستقرار السياسى والاجتماعى والتنبؤ بحدوثها منها ؛ الأزمات الاقتصادية وتأثيرها على ظهور احتجاجات شعبية وصراعات أهلية، والعوامل الاجتماعية المرتبطة بالانقسامات الاجتماعية والطائفية ودورها فى اندلاع الصراعات والحروب الأهلية ، والعوامل الثقافية ذات الصلة بتأثير العولمة وشبكات التواصل الاجتماعى عبر الانترنت على خلق حراك سياسى ينتقل من العالم الافتراضى إلى ساحة العنف السياسى المباشر فى الميادين العامة، وكذلك العوامل السياسية الخاصة بالصراعات الاقليمية الجيوستراتيجية.

غير أن أهم تلك التفسيرات يتعلق بتحول التركيب العمرى للسكان داخل المجتمع فيما يعرف بنظرية الطفرة الشبابية youth bulge theory المطروحة فى الديموجرافيا السياسية ، وهى النظرية التى يروج لها كثير من الباحثين المدافعين عن نظرية التحول الديموجرافى وتداعياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى كثير من المجتمعات. على ضوء ذلك فإن الانتقال من المرحلة الثانية إلى المرحلة

الثالثة من التحول الديموجرافى مصحوب بتحول جذرى فى التركيب العمرى للسكان ، بحيث يكون أغلب فئات السكان من الأصغر سنا (أطفال ومراهقين وشباب) ، وهو ما يسفر بعد سنوات محدودة عن كبر حجم الشباب مقارنة بالفئات الأكبر سنا.

وعلى ضوء ذلك تشير نظرية الطفرة الشبابية إلى أن الشباب يلعبون دورا محوريا فى العنف السياسى على مر التاريخ ، ذلك أن كبر حجم فئة الشباب فى أى مجتمع يصاحبه حالة من عدم الاستقرار الاجتماعى والسياسى وضغوطا شديدة على الأنظمة السياسية للتحول نحو إصلاحات ديمقراطية.[١] يحدث ذلك فى ظل توسع التعليم مع ضعف قدرة الاقتصاد على توليد فرص عمل كافية للشباب . ويترتب على البطالة تعميق الشعور العام بالظلم الاجتماعى لدى الشباب الذين قضوا سنوات من عمرهم فى التعليم دون الحصول على فرص عمل لائقة. ومن ثم يدفعهم ذلك إلى الغضب والانخراط فى أعمال احتجاج وتمرد ضد النظام السياسى السائد.[٢] وتدعم هذه الأطروحة نتائج العديد من الدراسات التى تؤيد القول بأن المجتمعات ذات التركيب السكانى الشاب أكثر عرضة للصراعات المدنية من المجتمعات ذات التركيب السكانى الأكبر سنا.

وقد طور ريتشارد سينكوتا نموذجا إحصائيا يربط بين التحول الديموجرافى نحو بروز وكبر حجم فئة السكان الشباب والتحول السياسى ذو الطابع الليبرالى الديمقراطى. وقد أظهر النموذج الاحصائى أن التغير فى العمر الوسيط median age هو ما يفسر التنبؤ بحالة عدم الاستقرار السياسى وصولا إلى مرحلة التحول السياسى نحو الديمقراطية . ذلك أن العمر الوسيط هو النقطة التى تقسم السكان بحسب العمر إلى قسمين متساويين. وبحسب رؤية سينكوتا فإن العمر الوسيط

1-Goldstone, Jack A., 2001. 'Demography, Environment, and Security', in Paul F. Diehl and Nils Petter
Gleditsch, eds., Environmental Conflict. Boulder, CO: Westview.p.95.
2- Urdal, Henrik. "The devil in the demographics: the effect of youth bulges on domestic armed conflict, 1950-2000." Social Development Papers: Conflict and Reconstruction Paper 14 (2004).pp.3-4.

لدى السكان فى بلد ما حين يصبح عند سن ٢٥ سنة تحديدا يمثل علامة فارقة فى التحول السياسى يسبقها حالة من عدم الاستقرار السياسى والاجتماعى ، مع وجود كتلة سكانية عفية فى المنتصف من الشباب وذات طاقة كبيرة ، ويفترض أن استبعاد هذه الفئة من ثمار التنمية وفرص الحياة يجعل تلك الفئة محرك رئيسى للتغير وفاعل مؤثر جدا فى حالة عدم الاستقرار الاجتماعى والسياسى .ومع بلوغ أى مجتمع هذه النقطة فإن ذلك يمثل بداية مرحلة جديدة تشهد ضغوطا حقيقية لتحول النظام السياسى نحو الطابع الليبرالى كى يصبح ديمقراطيا دون صراعات عنيفة.

ومنذ أن اندلعت شرارة الاحتجاجات عام ٢٠١١ فى مصر وتونس وليبيا وسوريا واليمن وهناك شواهد كثيرة على أننا بصدد مرحلة فارقة فى تاريخ المجتمع العربى تتعلق بإعادة صياغة علاقة العرب بالسلطة . فالأحداث على مدى العامين الماضيين كثيرة ومتلاحقة تشى برياح عاتية للتغير على مختلف الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية . وسواء كانت نظرة الباحثين فى العلوم الاجتماعية لما حدث ترى فيما حدث ثورة أو مجرد احتجاجات وانتفاضات شعبية ، إلا أن أكثر ما يلفت النظر فى تلك الاحداث المتلاحقة أنها ارتبطت الى حد كبير بالشباب ، فهم الذين اشعلو شرارتها وكانوا عنصرا فاعلا فى ضراوتها وكانوا أيضا أبرز ضحاياها . ومن المهم أن نأخذ بعين الاعتبار أن الشباب يشكلون ثلث عدد السكان تقريبا وإذا أضيف إليهم النشء الذين شاركو فى أحداث الاحتجاجات وأيدوها فسوف يعنى ذلك أن أكثر من نصف السكان فى البلدان التى شهدت احتجاجات هم من الشباب والنشء يرغبون فى احداث تحولات سياسية ، وهؤلاء يشكلون قوة دفع ديموجرافية كبيرة لايستهان بها . وهذا يعكس جانب من الأزمة الراهنة التى نحن بصددها ، والتى تتمثل فى وجود فجوة جيلية واسعة واستبعاد كثير من الشباب من فرص الحياة وتدنى مستويات تعليمهم وفقدانهم القدرة على المنافسة فى سوق العمل والانتظار كثيرا بحثا عن

عمل والتماسا إلى أى بارقة أمل فى حياة مستقرة .

لكل هذه الأسباب كان الشباب فى مقدمة القوى الثائرة ضد الفساد والظلم الاجتماعى والقهر. ومع ذلك فإن غالبية من شاركوا فى تلك الأحداث كانوا من بين شرائح مختلفة لشباب الطبقة الوسطى الحضرية. وبصفة عامة أحس الشباب المشاركين فى الاحتجاجات والمؤيدين لها ولأول مرة بفرحة التحرر والشعور العارم بالقوة فى مواجهة أى سلطة . وكل ذلك انعكس على جرأتهم الكبيرة فى مواجهة أدوات القهر والاستبداد بفاعلية وبمواقف جريئة وحاسمة تحمل قدرا كبيرا من المخاطرة . ويبدو أن احتكاك الشباب بالتكنولوجيا الحديثة والإنترنت أضاف لهم انفتاحا كبيرا فى رؤيتهم للعالم وجعلهم جزءا لا يتجزأ مما يحدث فى العالم من حولهم . حيث ساهم استخدام الشباب لمواقع التواصل الاجتماعى فى تمكينهم من المعرفة بسهولة وبما يتجاوز قدرة المؤسسات الرسمية على حجب المعلومات . وقد ساعد ذلك على استعداد الشباب الإيجابى إلى التغير واكتساب أساليب حياة جديدة ومفاهيم وتصورات جديدة ورؤى للعالم مختلفة عن الجيل الأكبر. وبفضل الإنترنت رأينا أيضا شبابا يعرفون مفاهيم سياسية فى المشاركة والاحتجاج والتظاهر يستخدمونها فى حواراتهم ويمارسونها مع آخرين فى حياتهم اليومية . وكل ذلك يعنى أنه إذا كان الأفق مسدودا فى الواقع المعاش أمام الشباب، فقد فتحت شبكة الأنترنت بعوالم افتراضية واسعة آفاقا أرحب أمامهم فى النفاذ إلى الحقائق واكتساب قدرات جديدة فى التعبير والتغيير.

فى هذا الإطار انشغلت الدراسة التى نحن بصددها بتحليل السياسة بمفرداتها وموضوعاتها ودلالاتها فى خطاب الحياة اليومية لدى عينة من الشباب الحضرى فى كل من القاهرة وتونس العاصمة . اهتمت الدراسة بالكشف عن هموم الشباب بالشأن السياسى فى إطار المقارنة بين مواقف مختلفة من الأحاديث اليومية للشباب المصرى والتونسى. واحسب إن هذا الموضوع نادر فى بحوث ودراسات علوم الاجتماع والأنثروبولوجيا و السياسة. ولم يقف طموح هذه الدراسة عن حد

البحث فى موضوع شائك وغير مطروق فى الدراسات والابحاث السابقة فحسب ، بل كان الطموح الأكبر والأهم الاستعانة بمفاهيم وافتراضات وادوات الأنثروبولوجيا اللغوية التى تقل عنها الكتابات والدراسات باللغة العربية. والدراسة فى الأصل أطروحة لنيل درجة الدكتوراة حصلت عليها بجدارة الباحثة الواعدة رشا سعيد صبحى أبو شقرة من معهد الدراسات الأفريقية عام ٢٠١٦ تحت إشراف كل من ايمان البسطويسى وسعد بركة وكاتب هذه السطور.

وبطبيعة الحال فإن الاهتمام بالأنثروبولوجيا اللغوية قديم للغاية ويرجع الى اهتمام المدرسة الأمريكية فى الأنثروبولوجيا خلال القرن التاسع ، وبالأخص فى أعمال فرانز بواث ، وادوارد شابير وليى وورف Lee Whorf وغيرهم. وقد برز الاهتمام الاكاديمى بهذا المجال كفرع من فروع الأنثروبولوجيا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. ويختص هذا الفرع بدراسة اللغة فى إطارها الثقافى وتأثير الاستخدام الاجتماعى للغة بأبعادها المختلفة . وعلى عكس ما يقوم به علم اللغويات تنظر الأنثروبولوجيا اللغوية الى اللغة ليس بوصفها كيانا منفصلا عن الحياة الاجتماعية ولكن على أساس الاعتماد المتبادل بين اللغة من ناحية والثقافة والأبنية الاجتماعية من ناحية أخرى.

ومن الواضح أن التحليل اللغوى من المنظور الأنثروبولوجى يسعى إلى بحث قضايا متعددة ونوعية من قبيل العلاقة بين رؤى العالم والتصنيفات النحوية والحقول الدلالية / السيميانطيقية، وتأثير الكلام على علاقات التنشئة الاجتماعية والشخصية، وتفاعل التجمعات اللغوية والاجتماعية. وتهتم الأنثروبولوجيا اللغوية بالإشكالية المحورية المتعلقة بالعلاقة بين التنوع اللغوى وتنوع رؤى العالم ، وهذا يقتضى دوما البحث فيما إذا كانت الاختلافات في الاستخدام الثقافي والبنائى للغة بين اللغات المختلفة تعزز الاختلافات بين المجتمعات البشرية في كيفية فهم العالم. ومن الموضوعات التى تهتم بها الأنثروبولوجيا اللغوية دراسة التراكيب الصوتية للكلام وبنية الكلمات والجمل فيما يطلق عليه التحليل

الموفولوجى، ودراسة التواصل غير اللفظى من خلال العلامات والإشارات والإيماءات وفقا لمفهوم اللغة الصامتة silent language أو اللغة الموازية paralinguistic ، والدراسات حول تطور اللغة ، واكتساب اللغة الأولى فى الحياة ، وكذلك اكتساب اللغات الأخرى والأبعاد الاجتماعية المرتبطة بالتعددية اللغوية ، وكذلك دراسة طبيعة ووظيفة السلوك الاتصالى فى سياق الثقافة ، وفى اطار العلاقة بالمتغيرات الاجتماعية والثقافية المرتبطة بالتفاعل الانسانى من خلال ما يطلق عليه ديل هايمز Hymes اثنوجرافيا الاتصال Ethnography of Communication ، واثنوجرافيا التحدث Ethnography of speaking . وقد لعب ديل هايمز دورا مهما للغاية فى تطوير أدوات ونماذج للتحليل الانثروبولوجى اللغوى بالتطبيق على دراسات المحادثات . ومن بين ما قدمه هايمز من مفاهيم : مجتمع الكلام speech community والذى يضم جماعة تشترك فى استخدام قواعد لغة محددة للتحدث وتفسير الكلام من الناحية الثقافية بموجب تلك القواعد. وكذلك وحدات سلوك الكلام والتى تشمل موقف التكلم والحدث الكلامى والفعل الكلامى .

ولقد ساهم التقدم الكبير فى بحوث ودراسات الأنثروبولوجيا اللغوية عالميا فى تطوير مفاهيم واطروحات نظرية ونماذج نظرية جديدة لفهم العلاقة بين الثقافة واستخدام اللغة فى الكلام والتواصل بصفة عامة. وتتقاطع دراسات الانثروبولوجية اللغوية مع دراسات الانثروبولوجية المعرفية والانثروبولوجية الرمزية فى دراسة المعنى عبر اللغة . حيث تشير الدراسات الى ميل كثير من الناس فى لغات مختلفة الى التفكير فى ضوء الثنائيات اللغوية والاجتماعية الثقافية ، وكذلك التفكير فى ضوء المجالات التدرجية hierarchical domains، والروابط غير التعسفية بين الشكل والمعنى فى اللغات المختلفة ، وكذلك القواعد التى تحكم الخطاب الاجتماعى والمحادثة والتى يتعين الالتزام بها وعدم انتهاكها حتى لايؤدى ذلك الى جزاءات عقابية مجتمعية.

وتهتم الأنثروبولوجيا اللغوية ايضا بالعلاقة بين اللغة والثقافة والتفكير وهذا يثير قضايا من قبيل : ماطبيعة المعرفة ؟ وما طبيعة التفكير؟ وكيف يتشكل العقل؟ مالذى نفكر فيه ؟ وما الذى لانفكر فيه بحسب الثقافة التى ننتمى إليها؟ . وتهتم الانثوبولوجيا اللغوية بقضايا تقع على حدود العلاقة بين اللغة والايديولوجيا والتنوع فى الهوية الطبقية والنوعية والاثنية والقومية والانتماءات السياسية ، والايديولوجيات السياسية ؛ ذلك أن الاختلاف فى التكلم يعكس التفاوت الاجتماعى والاقتصادى وتفاوت المكانة الاجتماعية والثقافية والعرقية والسياسية . وتهتم الأنثروبولوجيا اللغوية مؤخرا بقضايا مرتبطة بتأثير العولمة على التواصل وتأثير استخدام تكنولوجيا الاتصال والمعلومات والهواتف المحمولة والحاسبات على استخدام اللغة والتواصل الثقافى بين مختلف الجماعات الإنسانية.

كل هذا الزخم الكبير من التطورات العلمية فى مجال الأنثروبولوجيا اللغوية عالميا لايجد صداه بكل أسف فى كتابات وأبحاث واهتمامات الأنثروبولوجيين العرب . ومن هنا يتعين الإشارة إلى أن الاهتمام العربى النادر بدراسات الأنثروبولوجيا اللغوية يضفى على هذه الدراسة أهمية كبيرة فى محاولتها الجادة تقريب هذه الفجوة المعرفية والمنهجية الهائلة فى هذا المجال. ويحمد لرشا أبو شقرة صدق المحاولة ، خاصة وأنها تصدت بشجاعة الى مجال بحثى نادر ولم تهن عزيمتها بل تجشمت عناء البحث بجدية واجتهاد فى عملية جمع البيانات من سياقين ثقافيين مختلفين.

ومن الواضح أن اتجاهات البحث فى الأنثروبولوجيا العربية سواء داخل مصر أو فى كافة البلدان العربية تنظر الى الأنثروبولوجيا اللغوية باعتبارها تغطى موضوعا من موضوعات الأنثروبولوجيا الثقافية على اعتبار ان اللغة مكون رئيسى من مكونات الثقافة. غير أن هذا التوجه كان منصبا على تأثير الثقافة على اللغة وغض الطرف تماما عن التحليلات الانثروبولوجية لتأثير اللغة على الثقافة. وبطبيعة

الحال فإن استخدام الأنثروبولوجيا اللغوية يقتضى تطبيقا صارما لبعض الشروط المنهجية أثناء جمع البيانات من الميدان ، غير أن ظروف العمل الميدانى وحساسية المبحوثين من التركيز الشديد على احاديثهم وخوفهم من استخدام التسجيل قد تقف عائقا أمام إمكانية تطبيق هذه الشروط بدقة . وهذا يفسر لنا مدى الصعوبات التى واجهت دراسة السياسة فى خطاب الحياة اليومية للشباب. ذلك أن الحديث فى الشأن السياسى محفوف بمخاوف لدى المبحوثين من الملاحقات الأمنية المحتملة فى سياق مابعد الحراك السياسى. ولهذا كانت الدراسة تصارع كثيرا من المصاعب فى سبيل إجراء تحليلات لغوية من منظور انثروبولوجى. فى بعض الأحيان كانت أقرب الى الأنثروبولوجيا اللغوية وفى أحيان أخرى كانت اقرب إلى تحليلات الأنثروبولوجيا الثقافية ، وفى بعض المواضع كانت تقترب من التحليلات السوسيلوجية للغة الحياة اليومية.

هذا عمل يستحق القراءة من جانب الباحثين الأنثروبولوجيين أملا فى أن يفتح مجالا جديدا لدراسات جادة فى الأنثروبولوجيا اللغوية وكذلك الأنثروبولوجيا السياسية، ودراسات تحليل الخطاب من منظور الأنثروبولوجيا. والامل معقود على الباحثة الشابة صاحبة الدراسة فى أن تتولى فى ابحاثها ودراساتها القادمة شق هذا الطريق الصعب والمهم ، وأن يكون ذلك بداية للنهوض بدور قسم الأنثروبولوجيا فى الدراسات الافريقية بصفة عامة ودراسات الأنثروبولوجيا العربية والافريقية بصفة خاصة من خلال جيل جديد من الباحثين الجادين.

والدكتورة رشا أبو شقرة تعمل حاليا مدرس للانثروبولوجيا بمعهد الدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة . وقد سبق لها الحصول على درجة الليسانس فى الآداب من قسم الاجتماع بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ٢٠٠٥ ، والتحقت بمعهد الدراسات الافريقية للعمل معيدة بقسم الأنثروبولوجيا عام ٢٠١٠، وحصلت على درجة الماجستير بتقدير ممتاز فى دراسة بعنوان أثر اللغة علي الاندماج الوطني فى جنوب السودان ٢٠١١. وهى الآن عضوة بلجنة علم

الاجتماع والأنثروبولوجيا بالمجلس الأعلى للثقافة.

وقد سبق للدكتورة رشا أن شاركت فى مؤتمرات علمية متعددة ونشر لها عدة أبحاث حول الرقص التأبينى عند شعب الشلك بجنوب السودان ، ودور اللغة في الصراعات السياسية بجنوب السودان ، و أثر اللغة العربية على الثقافة الافريقية . وفى يولية ٢٠١٧ حصلت الدكتورة رشا أبو شقرة عن دراستها الراهنة على جائزة حلمى شعراوى للدراسات الافريقية كأفضل دراسة علميه افريقية لهذا العام. ومن المعروف أن جائزة حلمى شعراوى خصصت منذ عام ٢٠١٠ لتشجيع الباحثين الافارقة ودعم جهودهم المتميزة فى الدراسات الافريقية. ويعود الفضل الى الاستاذ حلمى شعراوى رائد الدراسات الافريقية فى الاهتمام بافريقيا وتوج ذلك بتأسيسه لمركز البحوث العربية والافريقية الذى كان ببحوثه ودراساته ومؤتمراته بمثابة حلقة وصل بين كل المهتمين فى العلوم الاجتماعية بالشأن الإفريقي.

تحية تقدير لأستاذنا الجليل حلمى شعراوى على دعمه لهذه الدراسة ، على تشجيعه المستمر لشباب الباحثين فى معهد الدراسات الافريقية بجامعة القاهرة ، والتهنيئة الحارة لصاحبة هذه الدراسة الدكتورة رشا سعيد أبو شقرة على جهدها المخلص وعملها الدؤوب فى انجاز هذا البحث متمنيا لها مزيد من النجاح والتقدم.

سعيد المصرى

أستاذ دكتور ورئيس قسم الاجتماع

بكلية الآداب جامعة القاهرة

مدينة الشيخ زايد ١ يناير ٢٠١٨

مقدمة

إن الإنسان يفكر ويصوغ أفكاره باللغة ويشير ويعبر عن مشاعره باللغة ويرى ما حوله ويصفه باللغة، وإلى جانب هذا كله فإنها تقوم بتشكيل وعي أفراد المجتمع وسلوك أفراده، وتحدد أنماط تفكيرهم ومعتقداتهم، بل إن اللغة هي التي تشكل عقولنا وتصوغ رؤيتنا لما حولنا، وتوجه سلوكنا نحو الآخرين. فالإنسان لا يستطيع أن يعيش في الصمت والسكوت، فاللغة هي الملكة التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات، ولا يختلف الطبري فقيه القرن الرابع من الهجرة (الحادي عشر ميلادي) عن تشومسكي لغوي القرن العشرين -على قلة ما يتفقان فيه في أن اللغة هي المميز الأساسي للبشر، يقول الطبري: «إن من عظيم نعم الله على عباده، وجسيم منه على خلقه ما منحهم من فضل البيان الذي به عن ضمائر صدورهم يبينون، وبه على عزائم نفوسهم يدلون، فدلل به منهم الألسن وسهل عليهم المستصعب فبه إياه يوحدون، وإياه به يسبحون ويقدسون، وإلى حاجاتهم به يتوصلون، وبه بينهم يتحاورون، فيتعارفون ويتعاملون». وإذا كان منطلق تشومسكي يختلف اختلافًا جوهريًا عن منطلق الطبري؛ إذ إن تشومسكي يرى أن اللغة ملكة بيولوجية لها نفس الخصائص البيولوجية التي لملكة البصر أو السير عند الإنسان، أو لملكة الطيران عند الطيور، ورغم اختلافهما الكبير عن مصدر اللغة، فقد اتفقا على أن اللغة كانت وما زالت تحتل مكان الصدارة في تميز الإنسان عن غيره من عالم الطبيعة الذي يعيش فيه.

ومن المسلم به أن لكل مجتمع ثقافة خاصة به وكما أن لكل ثقافة خصائص معينة تميزها عن غيرها من ثقافات المجتمعات الأخرى وإضافة إلى أن كل لغة

من اللغات المختلفة تتضمن مجموعة من الكلمات والألفاظ والمفردات والعبارات التي يصعب فى بعض الأحيان ترجمتها إلى مفاهيم أخرى تحمل نفس المعنى أو تشير إلى الدلالة نفسها، وربما يعزى ذلك إلى أن لكل لغة ولكل ثقافة ولكل مجتمع خصوصية معينة، كما أن لكل فرد ولكل جماعة ولكل مجموعة خصوصية تميزها عن غيرها، معنى هذا أن لكل مجتمع لغته الخاصة به المنبثقة من ثقافته التي ينتمي إليها، كما أن لكل مجتمع خصوصية معينة تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى، واللغة تعكس بطرق عديدة ثقافة المجتمع، ولعل هذا هو مرجع الأهمية التي يوليها الأنثروبولوجيون للغة، فاللغة فى التحليل الأنثروبولوجي هي أي اتصال لفظي أو غير لفظي يتم بين بشر أو حيوانات أو حتى آلات، فالعلاقة بين اللغة والأنثروبولوجيا كانت دائمًا علاقة وثيقة؛ ذلك لأن اللغة هي الباب الذي يلج منه الأنثروبولوجي إلى داخل المجتمع الذى يدرسه، فإن لكل لغة بنية خاصة تمثل تمثيلاً صادقة البنية الفكرية والشعورية للجماعة اللغوية، وهذا ما أثبتته الدراسات الأنثرولغوية الصلة الوثيقة بين البنية اللغوية وعقلية الثقافة وأنماط سلوك الجماعة اللغوية.

والخطاب جزء من اللغة؛ فقد عرف بينفنيست الخطاب بأنه اللغة في حال الفعل أي بين شركاء ، التواصل ذلك أن ذاتية الإنسان لا تتحدد إلا من خلال التخاطب والتحاور , واللغة هي وحدها التي تؤسس مفهوم الأنا في الواقع , فالذاتية باعتبار أصلها النفسي هي التي تعبر عن وجود الإنسان وكينونته من خلال التلفظ بالضمير « أنا »، وانطلاقا من موضع المتلفظ كمتكلم يوجه كلامه لمخاطب يحمل إليه العبارة وهي منطوية على ضمير « أنت »، وهكذا يستمر التبادل بين هذين الضميرين في الكلام وتستمر بالتالي علاقة التخاطب بينهما.

ولأن الكلام يحدث وفقًا لسياق اجتماعي ثقافي وكذلك الإصغاء، فالأفراد عندما يتحدثون فإنهم لا يتحدثون من فراغ، ولكنهم يتحدثون وفي عقولهم مخططات ثقافية وتاريخية، كما أنهم عندما يصغون للحديث فإنهم يصغون إليه

وفق مخططات ثقافية وتاريخية، ويقول «فوكو» فى هـذا المعنـى أن الـذات تسـأل تبعًا لمجموعة من الرموز الصريحة أو الضـمنية؛ فهـي ذات تنظـر حسـب قائمـة للسمات والملامح المميـزة حسـب نمـط وصـفي ،محدد فقـد أولـت الدراسـات الاجتماعية لاسيما الأنثروبولوجيـة اهتمامًـا خاصًّـا لدراسـة الخطـاب لاسـيما خطاب الحياة اليومية، حيث تعتبر لغة الحياة اليومية الوسيط الذى يعبر عن قوانين الحياة الاجتماعية والثقافية، ولأن خطاب الحياه اليومية بمثابه المرآة التي تعكس الفكر وما يعج به من قضايا اجتماعيـة ودينيـة وسياسـية واقتصـادية...إلـخ إلا أن القضايا السياسية أصبحت هي الأكثر وضوحًا داخل خطاب الحياة اليومية لاسيما بعد ثورات الربيع العربي التي فجرها الشباب؛ لذلك سوف تركـز هـذه الدراسـة على قضايا الشأن السياسي داخل خطاب الحياة اليومية للشباب.

ويحتل الشباب أهمية قصوى في المجتمع لا من حيث النظر إليه باعتباره صانع المستقبل فقط؛ بل لكونه فاعلًا اجتماعيًّا بالدرجة الأولى ومؤثرًا في الحاضـر، وإن تعددت وتراوحت تقييمات هذا التأثير بين السلبية والإيجابية، فالشـباب هـم مـن يمثلون البؤرة في البرهة الزمنية الحالية والنخبة القائدة في الفترة الزمنية المستقبلية، وبالتالي تنبع الأهمية المحوريـة لقطـاع الشـباب في أي مجتمـع مـن المجتمعـات باعتبارهم مكمن الحركة والطاقة والقوة الدافعة باستمرار نحو التغييـر والتطـوير، خاصة حينما يمـر هـذا المجتمـع بمنعطفـات فاصـلة في تاريخـه حينئـذ لا يجـد المجتمع أمامه سوى قطاع الشباب كي يحمله مسئولية المشـاركة في هـذا العبـور العظيم من واقع لا نرغبه إلى مستقبل نرغب فيه، فهو مستقبل يملكه الشـباب قبـل غيره من الأجيال.

إلا أن مجتمعاتنا العربية بأنظمتها الاستبدادية الحاكمة سعت دائمًا إلى تهميش الشباب واستبعادهم خارج الحياة السياسية، فلم يكن لهم دورًا بارزًا فيها، وظهـر هذا فى تراجعهم عن المشاركة السياسية وعدم الانشغال بالسياسة بوجه عام.

كما يؤدي ذلك التهميش إلى تشكل الثقافة الفرعية التي تعمل على إيجاد حلول

للمشكلات من خلال القدرة على التخيل، وتتضمن مناقشة ثقافة الشباب التغير والتواصل والهوية، ومن الطبيعي أن تكون ثقافة الشباب جزءًا من ثقافة المجتمع إلا أن التغييرات المتلاحقة التي تعرضت لها ثقافة مجتمعنا بصورة مفاجئة أدت إلى انهيار ثقافة المجتمع والذي أدى بدوره إلى تشكل عشوائي لثقافة الشباب مما جعلها ثقافة هشة وسريعة التغير غير منتمية بشكل أو بآخر إلى ثقافة المجتمع، فهي ثقافة منعزلة يعيش في إطارها الشباب. (Michael. B..1990.56) انظر أيضًا (Navak.A.2003)، إلا أن الثورات التي فجرها الشباب جعلت الشعوب العربية تعيش مرحلة تحول جذرية، فعندما اندلعت الثورات العربية فى مصر وتونس أدى ذلك إلى موجة كبيرة بين الشباب من الانشغال بالسياسة والحديث فيها، فقد بدا تأثير ذلك الحدث السياسي الكبير بقوة على اهتمام الشباب في الحياة اليومية، هذا يعني أن الانشغال بالسياسة وقضاياها اصبح يستأثر بمساحة من خطاب الحياة اليومية لدى قطاعات واسعة من الشباب فى مصر وتونس بصورة ملفتة.

وعلى ضوء ذلك يسعى هذا الكتاب إلى دراسة الموضوعات والقضايا المرتبطة بالشان السياسي في خطاب الحياة اليومية لدى عينة من الشباب فى مصر وتونس من واقع دراسة فى الأنثروبولوجيا اللغوية. لذلك اعتمدت الدراسة على بعض المداخل النظرية الوطيدة الصلة بالأنثروبولوجيا اللغوية وأهمها المدخل الإثنوميثودولوجي الذي وضعه جارفينكل، والنظرية البنيوية التركيبية لأنتوني جيدنز. وتقوم الأنثروبولوجيا اللغوية بالاعتماد على عدد كبير من المناهج والطرق البحثية لمعالجة موضوعاتها؛ منها المناهج الإثنوجرافية والمناهج التحليلية والمناهج الكمية، وقد طورت من أدواتها البحثية وصمم علماؤها نماذج يستخدمها الباحثون فى دراساتهم؛ مثل نموذج ديل هايمز الذي تطور عن نموذج جاكوبسون، وقد حاولنا استخدامه فى هذه الدراسة إلا أن عناصره وجدناها مناسبة أكثر لطبيعة الخطابات الرسمية الموجهة، لذلك قد تم تطبيق بعض عناصره وليست كلها، أما خطاب الحياة اليومية نظرًا لطبيعته التلقائية التي فرضت علينا استخدام أدوات ومناهج معينة تتفق وطبيعة خطاب الحياة اليومية،

لذلك قد عالجت الدراسة الموضوع من خلال مجموعة من المناهج والأدوات البحثية، ومنها منهج إثنوجرافية الكلام والمنهج المقارن ومنهج تحليل المضمون والمنهج الانثروبولوجى، وجاءت أهم أدواتها فى صحيفة تسجيل الموقف التي تعتمد على تسجيل لقطة من الحياة اليومية بما يحافظ على الطبيعة التلقائية للخطاب اليومي ولملاحظة ، دليل العمل ، الميدانى وحلقات المناقشة الجماعية.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على أسلوب العينة، واختار نمط العينة العشوائية بوصفها الأنسب لطبيعة البحث، وذلك من خلال المواقف الاجتماعية التي تتناول الحديث عن ، السياسة وبالتالي تم انتقاء الموقف الذي تم فيه الحديث عن السياسة، وكانت الباحثة تدون المواقف التي تصادفها في الحياة ،اليومية وليس بالضرورة أن تكون عضوًا فاعلاً فيها فحسب، بل المواقف التي تحدث على مرأى ومسمع منها. كما تم الاعتماد على جلسات المناقشة الجماعية التي تمت مع شباب الأحزاب، فهذه تعتبر ليست عشوائية بل عينة عمدية؛ ذلك لاختيار أحزاب بعينها في كلا المجتمعين، وهم فى مصر: (حزب الوفد، التجمع، النور، التحالف الشعبي)، وفى تونس: (حزب النهضة، التيار الوطني الديمقراطي، حزب العمال، نداء تونس)، وقد تم ضم هذه الجلسات إلى عينة المواقف التفاعلية، وكان عدد المواقف التفاعلية ٥١٥ موقف.

وقد قدمت الباحثة نفسها لمجتمع البحث من خلال الإخباريين من الأصدقاء والمعارف. واستعانت بزوجها الذي رافقها العمل الميداني وقام بالتصوير والتسجيل وإقامة الصداقات مع المبحوثين .

وراعت ان تتوافر بعض الشروط فى العينة؛ أهمها:

١- أن يكون سن المبحوث من الشباب يتراوح ما بين ١٧: ٣٥ سنة.

٢- أن تمثل العينة الجنسية (ذكور – إناث).

٣- أن يكون حجم العينة يتراوح ما بين ٤٠٠: ٥٠٠ مبحوث.

٤- أن تمثل العينة الانتماءات السياسية المختلفة (يمين، يسار، وسط).

وشملت الدراسة عينة الشباب من الجنسين ذكور وإناث يتراوح أعمارهم ما بين ١٧ إلى ٣٥، وكان عدد المشاركين ٩٢٤ بعدد ٤٧٦ من مصر الذكور منهم ٣٠٣ والإناث عددهم ١٧٣، ومن تونس كان عدد الشباب ٤٤٨ عدد الذكور ٢٩١ والإناث ١٥٧.

و قامت الدراسة الميدانية في عام ٢٠١٥، ونظرًا لكون الباحثة مصرية وتقيم في القاهرة فقد كان الميدان مفتوحًا أمامها في أي وقت، لذلك فالدراسة الميدانية في مصر وقتها أطول من الدراسة الميدانية في تونس والتي تمت في شهر واحد، فقد استغرقت في مصر أربعة أشهر: (أبريل، مايو، يونيو، يوليو)، وفى تونس كانت في شهر واحد وهو شهر (أغسطس).

وقد شملت الدراسة نطاقا جغرافيا واسعا على مجتمعي القاهرة الكبرى وتونس العاصمة، وقد جاءت المواقف من عدة مناطق مختلفة؛ ففى القاهرة كانت مناطق مثل: (وسط البلد، شبرا، المهندسين، الدقي، بولاق الدكرور، أرض اللواء، السيدة زينب، المعادي، التجمع الخامس، أكتوبر، بين السرايات، الهرم، فيصل، مصر الجديدة، الجيزة)، وقد تنوعت المواقف ما بين فناء جامعة القاهرة وجامعة أكتوبر وجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا، وبين مؤسسات العمل الرسمية مثل الإدارة العامة لمرور الجيزة ومرور القاهرة وشبرا، وبعض الوزارات مثل وزارتي الري ووزارة التضامن الاجتماعي، وأيضًا المنازل التي تتردد عليها الباحثة، وأيضًا المقاهي ومصففي الشعر والمحال التجارية والأسواق والمواصلات العامة، إلى جانب النوادي العامة مثل نادي الشمس ومركز شباب الجزيرة ونادي الترسانة ونادي الصيد.وفى تونس تنوعت أيضًا المناطق التى جاءت منها المواقف مثل: (تونس العاصمة وحي التضامن والحي العربي ومنطقة حلق الوادي وسليانة ومنطقة المنزه ومنطقة المرسي ومنطقة سيدي بو زيد)، وقد

تنوعت المواقف ما بين المؤسسات الرسمية مثل المكتبة الوطنية والمرصد الوطني للشباب والمعهد الوطني للإحصاء، وأيضًا الزيارات المنزلية إلى جانب المقاهي والنوادي العامة مثل: نادي الترجي التونسي والنادي الأفريقي وملعب ١٤ جانفي، إلى جانب المواصلات العامة بكافة أنواعها: القطار والترام والمترو والتاكسي الصغير والكبير، إلى جانب المطاعم والفنادق، أيضًا المحال التجارية الكبرى، إلى جانب الأحزاب: مثل حزب العمال والتيار الوطني الديمقراطي وحزب النهضة وحزب نداء تونس، وحزب «الوطد ومنظمات المجتمع المدني مثل: المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية.

وحظيت الدراسة بإجراء عدد كبير من **المقابلات الشخصية** مع رموز علمية كبيرة فى مصر وفى تونس أثرت الموضوع وغيرت العديد من مساراته البحثية: منهم السيد الأستاذ الدكتور **الطاهر لبيب** (تونس) الرئيس الفخري الجمعية العربية لعلم الاجتماع، بتاريخ ١٣/ ٨/ ٢٠١٥.

الأستاذ الدكتور **محسن بوعزيزى** (تونس) أمين عام الجمعية العربية لعلم الاجتماع ١٠/ ٨/ ٢٠١٥.

الأستاذ الدكتور **محمد جويلى** (تونس) رئيس المرصد الوطنى للشباب بوزارة الشباب التونسية٥/ ٨/ ٢٠١٥.

الأستاذ الدكتور **خالد الوحيشي** أستاذ بقسم الاجتماع كليه العلوم الإنسانية ٢٢/ ٨/ ٢٠١٥.

الدكتوره **هدى العربي** (تونس) قسم الاجتماع كلية العلوم الإنسانية ١٩/ ٨/ ٢٠١٥.

المفكر الاقتصادى الدكتور **سمير أمين** (مصر) رئيس منتدى العالم الثالث ١٦/ ٩/ ٢٠١٥.

المفكر المصرى **حلمى شعراوى** (مصر) نائب رئيس مركز البحوث العربية

والإفريقية ١/ ٨/ ٢٠١٥.

الأستاذة الدكتوره **إيمان البسطويسي** (مصر) أستاذ الأنثروبولوجيا بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية.

الأستاذ الدكتور **سعد بركه** أستاذ ورئيس قسم الأنثروبولوجيا بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية.

ويحتوى الكتاب على خمسة فصول؛ جاء **الفصل التمهيدي بعنوان قضايا نظرية** (وقد عرضنا في هذا الفصل أهم المفاهيم التى اعتمد عليها البحث: مفهوم الخطاب ومفهوم الحياه اليومية ومفهوم الشباب ومفهوم الربيع ، العربي ثم **تطرقنا** إلى الحديث عن التوجهات النظرية الحديثة فى الأنثروبولوجيا اللغوية وذلك بتناول ماهية الأنثروبولوجيا اللغوية وعلاقتها بدراسة الخطاب وخطاب الحياة اليومية، ثم عرضنا تاريخ التوجهات النظرية فى الأنثروبولوجيا اللغوية إلى جانب عرض الاتجاهات الحديثة في خطاب الحياة اليومية، وعرض أهم التوجهات النظرية المتعلقة بموضوع الدراسة والتي انبثق عنها التوجه النظري المقترح لموضوع الدراسة، وتم تقسيم هذه التوجهات النظرية إلى ثلاثة؛ هي: المدارس(اللغوية الحديثة، ومداخل سيسولوجيا الحياة اليومية، ومداخل الأنثروبولوجيا اللغوية)، **الفصل الثاني** بعنوان **خطاب شباب الربيع العربي «موضوعات وتمايزات»**، (وقد عرضنا في هذا الفصل موضوعات خطاب الحياة اليومية في كلا المجتمعين، وتم تصنيفها إلى أربع مجموعات رئيسة؛ هى: الأحداث والشخصيات والقضايا والمشكلات، ثم تم ترتيبها بحسب الترتيب الكمي والإحصائي للموضوعات، ثم استعرضنا التمايزات داخل موضوعات الخطاب من حيث النوع والطبقة والانتماء السياسي وذلك من خلال المقارنة بين المجتمعين)، **الفصل الثالث لغة خطاب شباب الربيع العربي**، (تناول هذا الفصل خصائص الخطاب، وأشكال التعبير اللغوي داخل الخطاب، وأبعاد التواصل اللغوي وأساليب التعبير اللغوي إلى جانب تناوله للأنماط اللغوية ومصادر

تشكل، الخطاب الفصل الرابع بعنوان الألفاظ والتعبيرات السياسية لخطاب الربيع العربي، (وقد تم تقسيم المفردات بحسب مضمونها إلى الألفاظ التي تشير إلى الثورة، الألفاظ التي تشير إلى أشخاص، الألفاظ التي تشير إلى فصائل سياسية، الألفاظ التي تشير إلى أوضاع مجتمعية، الألفاظ التي تشير إلى مؤسسات وأنظمة الدولة، ثم تم تناول أبرز المفاهيم فى الخطاب اليومي للشباب واختلافها فى المعنى والمضمون بحسب شباب كل مجتمع)، وأخيرًا الفصل الخامس اختتم الكتاب بعرض أهم النتائج ؛ ثم الملاحق المستخدمة فى الدراسة، وفى النهاية عرض لقائمة المراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.